وجودك

لأحمد محرم

وُجودي ، لَسْتَ لي ، فَلِمَنْ تكونُ ؟ أسرٌّ أنتَ عنْ نَفسي مَصونُ
يُصيبُ حَقَائِقَ الأشياءِ عقلي وتَعْصِفُ بي حواليْكَ الظُّنونُ
أمِنْ تَنْمي عِلى نَفْسي غِطَاءٌ ؟ فكيْفَ أنا ؟ أشَكٌّ أم يَقِينُ ؟

* * *

وُجودي ، ما عرفتُكَ غيرَ مَعنىً تَغلْغلَ في الخفاءِ ، فما يَبِينُ
غَريقٌ في الظَّلامِ ، ولاَ سَنَاسٌ ولاَ جِسٌّ يُلاذُ بهِ أمِينُ
أُقيمَ عليهِ سُورٌ مِنْ عُبابٍ تَفيلُ على جوانبِهِ السُّنينُ
أضِلُّ ، ويَضربُ التيَّارَ وَجْهي فأينَ أنا ؟ أحُرٌّ أمْ سَجينُ ؟

* * *

وجودي ، أينَ أنتَ ؟ ألا سَبيلٌ إليْكَ ، فَيَهْدأُ العَاني الحزينُ ؟
ومَنْ أنا في بَني الدُّنيا ؟ وَما لي وللدُّنيا ، وما وَعْثُ القرُونُ ؟
أتَشْغَلُني الحياةُ بكلِّ حَيٍّ وتُلهيني عنْ طَوْتِ المنونُ ؟
أُريدُ هوادَةً ، وتَثورُ حولي هُمُومٌ ، ما لعاصِفِها سُكونُ
وتَسْلُبُني خُطُوبُ الدَّهْرِ نَفْسي فما خَطْبي ؟ أحَيٌّ أمْ دَفِينُ ؟

* * *

وجُودي ، ما وَجَدتُكَ غيرَ خصمٍ تَلينُ قُوى الخصُومِ ولاَ يَلينُ
قَرينُ مَضرَّةٍ لا بُدَّ منهُ إذا ما رَابَني ، فَضَى القَرينُ
تُطيلُ عَدَاوتي ، وأنا المُعادي وتُهْدِمُ نُوَّمي ، وأنا المَعينُ
أُريدُ العُمْرَ أستبقيكَ جُهْدي وتُسْقِطُني الحوَادثُ والشُّؤونُ
وَما لي أرقُبُ العُقْبى فأشقى ؟ وَما العُقْبى ؟ أَجِدٌّ أمْ مَجُونُ ؟

* * *

وُجودي ، ما الوُجُودُ ، وَما وَرَائي ؟ إذا عَدَتِ النَّوَى ، ومضى الرَّهينُ ؟

رأيتُ المرءَ لا يُغْنيهِ عقلٌ ولا يَهديهِ في الأحشاءِ دينُ
سألتُ العِلمَ كلَّ فتىً عليمٍ فلا سَمْحٌ أفادَ ، ولا ضنينُ
وما تُغْني الشروحُ ، وإنْ تَناهتْ إذا استَعْصتْ على العقلِ المتونُ
وما العُقلاءُ إلا في ضلالٍ إذا استَولى على الدُّنيا المَجانينُ

* * *

ديارَ الشرقِ ، هلْ بكِ من قَطينِ ؟ دَعيني ، ما الديارُ وما القَطينُ ؟
ظَمِئْتُ ، وفي الأدَبُ المصفّى وَضَعْتُ ، وفي يَدي كَنزُ الثمينُ
ظَلَمْتُ أبي ونَفْسي إنَّ مِثْلي لَغالٍ في الشَّوائبِ لا يهونُ
كريمٌ تَدْفَعُ الأخلاقُ عَنهُ ويَمنَعُ رُكْنَهُ الأدَبُ الحصينُ
أقولُ فيُفْزِعُ الشُّعراءَ منِّي وما أنا في بَني وَطني ضَنينُ
لِرَبِّي ما عَمِلْتُ وعِندَ قَومي دُبُرِي ، حينَ تُلْتَمَسُ الذُّيونُ
أمينٌ أدَبي تَبيتُ الطيرُ تَبكي ؟ فما أدَبي ؟ أشَدْوٌ أمْ رَنينُ ؟

* * *

وُجودي ، أينَ كُنتَ ؟ ولَيتَ شِعري ؟ على طُولِ المقامِ ، متى تَبينُ ؟
لَئنْ أعجَبْتَني فَرَضيتُ حيناً لذلكَ ما جَنى الرَّأيُ الضَّنينُ ؟
كَبِرْتُ وما عَرِفْتُ مكانَ نَفْسي فما أدْري أشَيْخٌ أمْ جَنينُ ؟

* * *

وُجودي ، جانَ مَوعدُ كلِّ صادٍ وأبطأَ موعدي ، فمتى يجينُ ؟
نَهاني عَنْ جِباهِ السُّوءِ عِلمي بما يَسِمُ الرِّجالَ ، وما يَزينُ
أشُدُّ على الفُنونِ يَدي ، وإني لَفي زَمنٍ جَهالَتُهُ فُنونُ
يَعُونُ الحرَّ مُهْجَتَهُ فَيَبْقى ويُهْلِكُ نَفْسَهُ الضَّرَعُ المَهينُ
رأيتُ العزَّ أجمعَ في يَراعٍ يَصونُ جَلالَهُ خُلُقٌ مَتينُ

وما يبقى الهزبرُ بغير ناب ولو أن السحاب له عرين

***

سن (الهرم) الخلد بعد (خوفو) أيضرع للخطوب ويستكين ؟
خصيم الدهر تستعصي ذراه على ما كان منه ، وما يكون
يزلزل راجف الأحداث منه وقور في زلازلها رزين
فتي الأولات ، يلهمها هداها ويوقظها إذا غفت العيون
ويسهي الملائكين ، فلا غرور ولا فتون
نعيج لا ينغش ، ولا يداجي وقاض لا يميل ، ولا يخون
زها نبت الملائك في ثراه وطاح على جوانبه الدرين (١)
مشيع نعشها ، إن كان موت وإن يك موله ، فهو الشمين (٢)
ترى دارت عليه رحى الليالي فما وقفت ، ولا انقطع الطحين
حمى (فرعون) دثر كل عال وهيب بناؤه العالي المكين
أبأدنى الخلود يضل منها على الدنيا إذا نزل الأذين ؟
تمر به العصور ، فمستبر يعاذر أن يراه ، ومستبين
بناء العبقرية في صباها بناها شبابها السبق الفطين
تدين له الصواعق ، وهو رام يصطدم الصواعق ، لا يدين
تشكت طول صحبته الليالي وملّ جواره الرصد الكمين

***

وجودي ، أنت لي ولكل حر خدين جلالة ، نعم الخدين
حنين ما رأيت ، ولا خلود خلود ما بنيت ، ولا حنين
إذا عز السبيل على أناس فأنت إمامهم ، وأنا الضمين

احمد محرم

(١) الدرين ما اسود وقدم من النبات
(٢) الشمين من يقوم بخدمة العريس في العرس ، والاسم متقارب